بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. في الدرس الماضي جرىٰ بحث حول المقارنة بين كتاب «الأربعين» للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ وكتاب «جوامع الأخبار» لابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت طلبت من الإخوة مراجعة الكتابين وعقد المقارنة بينهما، فعدد من الأخوة جزاهم الله خيرًا قدموا أوراق فيها المُقارنة بين الكتابين، أقرأ عليكم نتيجة ما كتَبه أحد الإخوة دون ذِكر للتفاصيل التي كتب، وإنَّما أذكر لكم إجمالًا النتيجة، فيقول: إن الأحاديث التي وردت عند النووي ووردت عند العلامة ابن سعدي يعني الأحاديث التي اشترك ورودها في الكتابين أو وردت في الكتابين معًا يقول: عددها أحد عشر حديثًا، ثم ذكر الأحاديث التي انفرد بها النَّووي عن العلامة ابن سِعدي وذكر أنَّ عددها واحد وثلاثين حديثًا، وهذا عدد كبير تستفيدون منه فائدة أنَّ كتاب ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ لا يُغني عن الأربعين، نعم كان يُغني عنها لو كان أتىٰ علىٰ أحاديث الأربعين وزاد؛ لكن في الأربعين للنَّووي واحد وثلاثين حديثًا ليست موجودة في «جوامع الأخبار» لابن سعدي، وهذه نتيجة مفيدة جزىٰ الله الإخوة الذين أفادونا بها، وبناءً علىٰ ذلك فإنَّ العناية أوَّلًا بالأربعين للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم بعد ذلك تكون العناية بـ«جوامع الأخبار» لابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، ويكون كتاب ابن سعدي مكمِّلًا لما جمعه الإمام النَّووي إضافة إلىٰ ما زاده علىٰ أحاديثه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

الحديث الثالث

عن تميم الدَّاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة**»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**» رواه مسلم.

هذا الحديث الثالث من أحاديث هذا الكتاب، وهو حديثٌ عظيم، وهو من جوامع كلم النبي الكريم ﷺ، وقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه» كما ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لكن ليس في «صحيح مسلم» تكرار «الدِّين النصيحة»، وإنما وردت فيه مرة واحدة، وقد جاء التكرار ثلاثًا في مستخرج أبي نعيم أو أبي عوانة رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ «صحيح مسلم» بهذه الزيادة تكرار النصيحة ثلاث مرات وهي زيادة صحيحة «الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «الدِّين النصيحة» مكرِّرًا ذلك ثلاث مرات يدلُّ دلالةً واضحة بينة علىٰ مكانة النصيحة من الدِّين، حيث إنَّ النبي ﷺ وصف الدِّين بها؛ قال: «الدِّين النَّصيحة» وهذا يدلُّنا علىٰ مكانة النَّصيحة من الدِّين وعِظم شأنها منه، وقوله: «الدِّين النصيحة» يدلُّ علىٰ أنَّ النصيحة لابد أن تكون مصاحبةً لعبد الله المؤمن في كلِّ أمور الدِّين، بمعنىٰ أنَّ كلَّ أمور الدِّين لابد أن تكون مصاحبةً أو محفوفة بالنَّصيحة.

والنَّصيحة: كلمةٌ جامعة تتضمَّن قيام النَّاصح للمنصوحِ له بوجوه الخير إرادةً وعملًا، والدِّين النَّصيحة في كلِّ أبوابه وفي جميع مجالاته وفي كل ما يدعو إليه وكلُّ حقوق الدِّين التي أمر بها لابد أن تقام علىٰ النصيحة وتُبنىٰ عليها، وهذا يؤكِّد لنا أهمية عناية المؤمن بالنصيحة في كل أمور الدِّين، والصحابة رضي الله عنهم حريصون علىٰ الخير وسبَّاقون إليه، ولمَّا قال لهم نبيُّ الله ﷺ: «الدِّين النصيحة» وكرر لهم ذلك أدركوا مكانة النصيحة في الدِّين وعظم شأنها منه، وطرحوا سؤالًا يدلُّ علىٰ كمال فهمهم وحسن علمهم وتمام رغبتهم، لمَّا قال لهم: («الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟) هذه النصيحة التي هي الدِّين لمن نقدِّمها؟ ولمن تكون؟ ولتلاحظ أيها الموفَّق أن هؤلاء الأخيار تلقَّوا الأمر بالقَبول وتقبَّلوه بالرضا، واتجه سؤالهم إلىٰ مجالات التطبيق، ولهذا فإن سؤالهم يدل علىٰ تمام رغبة، وكمال حرص، وحسن قبول لما قال لهم: («الدين النصيحة»، قالوا: لمن؟) أي لمن نقدِّمها ولمن تكون؟ وكأن معنىٰ قولهم: (لمن؟) يتضمَّن قبولهم للأمر ورضاهم به، بقي عليهم معرفة المجالات التي تكون فيها النَّصيحة (قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المُسلمين وعامَّتهم») فذكر لهم عليه الصلاة والسلام مجالات النَّصيحة إجمالًا، وأنَّ النصيحة تكون لله، وتكون للرسول ﷺ، وتكون لكتاب الله، وتكون لأئمة المسلمين، وتكون لعامّتهم، خمسة مجالات. وهي في كل مجالٍ بحسبه، فالنصيحة لله لها شأن، وللرسول لها شأن، وللكتاب لها شأن، ولأئمة المسلمين وعامتهم لها شأن، ولهذا وجب علىٰ من أراد النُّصح عملًا بهذا الحديث أن يعرف شأن النَّصيحة في كلِّ مجال من مجالاتها وكل بابٍ من أبوابها، يعرف كيف تكون النَّصيحة لله، وكيف تكون النَّصيحة لكتابه، وكيف تكون النَّصيحة لرسوله ﷺ، وكيف تكون النصيحة لأئمَّة المسلمين وعامتهم، فإذا وُجدت المعرفة والعلم الصحيح قام عليها النُّصح بالعمل والتطبيق وتحقَّق فيه النصح إرادةً وعملًا، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لا يدري ما النَّصيحة كيف يسديها، وكيف يقدِّمها، وكيف تقع منه، ولربما أخطأ الإنسان سبيل الخير وهو يظن أنه من الناصحين، وهذا باب

خطير يدلُّنا علىٰ أنَّ فهم النُّصح في الدين أساس لابد منه لتحقيق النصح وإلا قد يقع الإنسان في الخطأ وفي نقيض النُّصح وضدِّه وهو يظن نفسه من الناصحين ويحسب أنه من المُصلحين، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، ولهذا من أسس النَّصيحة التي لا قيام لها إلا عليها معرفة النُّصح ومعرفة حقيقته، النُّصح لله، والنُّصح لكتابه، والنصح لرسوله ﷺ، والنُّصح لأئمة المسلمين وعامَّتهم، ومن لم يكن عالمًا بسبيل النصيحة ما هو، كيف يكون ناصحًا، وكيف يتَّقي من لا يدري ما يتَّقي، وإذًا فإنَّ من أهم ما يكون في هذا الباب، باب تحقيق النَّصيحة المطلوبة في هذا الحديث فهمها الفهم الصَّحيح.

وأمَّا أوَّلًا: فالنصيحة لله: وهي أعظم أبواب النصيحة وأجلُّها علىٰ الإطلاق كيف تكون؟ كيف يكون العبد ناصحًا لله؟ وقد عرفنا أنَّ النصيحة هي قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وعملًا، كيف يكون العبد ناصحًا لله؟ وكيف تكون النَّصيحة لله جل وعلا؟ والنصيحة لله تكون بمعرفة الله جل وعلا معرفةً صحيحة علىٰ ضوء ما دلَّ عليه كتاب الله العزيز، وسنَّة رسوله الكريم ﷺ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]؛ فالعبد كلَّما كان بالله أعرف كان إلىٰ الخير أقرب وعن الشر أبعد، إذا عرف ربَّه وعرف أسماءه وعرف صفاته وعرف عظمته وجلاله وكماله وكبريائه فإنه دخل من بوابة النصح العظيمة، وولج من سبيلها المُبارك، وأساس الخير معرفة الله وأساس الشَّر الجهل به، ولهذا لابد في النَّصيحة لله جل وعلا من معرفة الله جل وعلا، ولهذا تكاثرت الأدلة في القرآن والسنة مُعرِّفةً بالرب العظيم وبأسمائه الحسنىٰ وصفاته العظيمة ونُعوته الكريمة وجلاله وجماله وكماله سبحانه ليعرفه العباد، ومن النَّصيحة لله جل وعلا الإقبال علىٰ طاعته، وإخلاص الدِّين له، والخُضوع له جل وعلا، والتذلُّل بين يديه، وتوحيده والبراءة من الشِّرك كلِّه دقيقه وجليلة صغيره وكبيره، ومن النَّصيحة لله طاعته سبحانه، وامتثال أوامره، والابتعاد عن نواهيه، ومن النَّصيحة له ﷻ تصديق أخباره وكلَّما ذكره جل وعلا عن نفسه أو عن ما أعدّه لعباده في اليوم الآخر أو غير ذلك مما ذكره جل وعلا فهذا كلُّه من النصيحة لله جل وعلا.

والنصيحة للرسول ﷺ تكون بمحبَّته، وتقديم محبّته عليه الصلاة والسلام علىٰ النفس والنفيس وعلىٰ الوالد والولد والناس أجمعين، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»، وفي «صحيح البخاري» قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله؛ والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه»، فقال عمر: والله لأنت الآن أحب

إلي من نفسي، قال: «الآن يا عمر» فالنصيحة له ﷺ تكون بمحبته، وتقديم محبته علىٰ محاب الإنسان من والد وولد وتجارة وديار ومساكن وغير ذلك، ومن النصيحة للرسول ﷺ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عن ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، ومن النصيحة للرسول ﷺ معرفة قدره وتعظيمه عليه الصلاة والسلام التعظيم اللائق به دون غلو ولا جفاء، ودون إفراط أو تفريط؛ بل توسط واعتدال، وليس من النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن نغالي في مدحه بأن نصفه بما لا يوصف به إلا رب العالمين وخالق الخلق أجمعين ﷻ، فهذا ليس من النصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام.

ولهذا لما سمع امرأة تقول: وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ، غضب، وقال: «لا يعلم ما في غدٍ إلا الله» ولما سمع رجلًا يقول: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده » وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» فالعمل بهذه الأحاديث من النصيحة له، وليس من النصيحة للرسول ﷺ الغلو فيه، فهذا ضد النصيحة ونقيضها، وقد أنكر ذلك عليه الصلاة والسلام في حياته وأنكر ذلك أتباعه بعد مماته، وقد ظن أقوام بسبب الجهل بدين الله ﷻ أن الغلوّ في النبي ﷺ ورفع قدره فوق درجة العبودية وإعطاءه من خصائص الإلهية من النصيحة له، وهيهات أن يكون ذلك نصحًا.

قرأت مرة أبياتًا شعرية يمدح صاحبها رسول الله ﷺ صدَّرها بقوله:

هو الأول والآخر محمد هو الظاهر والباطن محمد.

أهذا نصح للنبي ﷺ أم أنه إخلال بالدِّين، وانتقاصٌ للتوحيد، وهضم لجانب الربوبية ومقام الإلهية؟ وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول في تذلّلـه ومناجاته ودعائه لربه عندما يؤوي إلىٰ فراشه صلوات الله وسلامه عليه «اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدَّين واغنني من الفقر» هكذا كان يقول عليه الصلاة والسلام، ثم يأتي من يظن أنه ناصحٌ له عليه الصلاة والسلام، فيغالي في مدحه ويجعل ما هو خاص بالله للرسول عليه الصلاة والسلام، فليس هذا من النصيحة أبدًا، وكذلك دعاؤه من دون الله هذا ليس من النَّصيحة، كأن يقول القائل: "مدد يا رسول الله، أو أغثني، أو مُنَّ علي بكذا، أو أعطني كذا، أو لا تحرمني من كذا، أو أن يقول:

يا أكرم الخلق مالِي من ألوذ بـه سواك عند حلول الحـادث العمـم

وإن من جودك الدُّنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

فذاك كله ليس من النصيحة له؛ لأن هذا حق لله والنصيحة حقًّا أن يقال:

يا خالق الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

هذه هي النصيحة حقًّا وصدقًا، ولهذا لابد من فهم النَّصيحة، ولا يؤتىٰ الإنسان من باب عاطفة جيَّاشة، وقلبًا محبّ دون بصيرة وعلم بدين الله، فإنّ الأمر إذا كان كذلك وُجد الخطأ ونشأ الخلل ووجد الانحراف، ولهذا أكدت في بداية الحديث علىٰ أهمية فهم النصيحة علىٰ وجهها الصحيح حتىٰ لا يقع العبد في الخلل من حيث أراد الصواب، ولا يقع في الفساد من حيث أراد الإحسان، وكثير من هؤلاء أرادوا خيرًا، لكن كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وهل كل من أراد الخير أدركه" ليس كل من أراد الخير يدرك الخير، وإنما يدرك الخير من يقيم دينه علىٰ أسس صحيحة وبناء سليم، وعلىٰ أدلة الشرع الحكيم، وعلىٰ قال الله وقال رسوله ﷺ، لا علىٰ الأهواء المُحدثة، والعواطف المجرَّدة فإنَّ هذا ليس من النصح. فهذه هي النصيحة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

والنَّصيحة لكتاب الله تكون: بقراءة القرآن، وتدبُّره، وتلاوته حقَّ تلاوته. حفظًا لحُروفه، وفهمًا لمعانيه، وعملًا بما يقتضيه. وهذه تلاوة القرآن التي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]، فإنَّ تلاوة القرآن حق تلاوته تكون بهذه الأمور الثلاثة: بالحفظ، والفهم، والعمل، والقرآن أُنزل ليعمل به، لتُفهم آياته، ولتتدبَّر معانيه، وليعمل بما دل عليه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء]، ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾[المؤمنون:٦٩]، فتدبر القرآن، وحسن فهمه، ومعرفة معانيه ودلالاته، والعمل بما يقتضيه هو النصيحة له، والنصيحة للقرآن ولكتاب الله عَزَّوَجَلَّ إنما تكون بذلك بالقراءة، وحسن الفهم، والعمل بما دل عليه القرآن.

أرأيت أخي الموفق لو أنك قرأت قول الله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ في غير موضع، وقرأت قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات:١٢] وقرأت أوامر القرآن ونواهيه ولكنك مع القراءة أعرضت عن العمل أتكون بذلك من الناصحين للقرآن؟ يأمرك القرآن ولا تأتمر، وينهاك ولا تنتهي، أتكون للقرآن من الناصحين؟ تفكر وتجد الجواب حاضرا في ذهنك.

فالنصيحة لكتاب الله إنما تكون بالقراءة، والفهم، والعمل، بذلك يكون العبد من الناصحين لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وبذلك يكون للقرآن أثرا عليه في حياته وسلوكه وفي أدبه وفي معاملته لا يكون حظه من القرآن مجرد إقامة حروفه، دون إقامة حدوده، قد تكلم الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عن جماعة من القراء وجدوا في زمانه قال: "يقول أحدُهم قرأتُ القرآن كله ولم أُسقط منه حرفًا" إشارة إلىٰ حسن التلاوة وجمال التجويد والترتيل والحفاظ علىٰ المخارج ونحو ذلك، يقول أحدهم: "قرأت القرآن كلَّه ولم أسقط منه حرفًا" يقول الحسن: "وقد أسقطه كله، لا يُرىٰ عليه القرآن لا في خُلق ولا عمل" يقول: "والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الورعة" إذا كان شأنه مع كتاب الله كذلك إقامة للحروف دون إقامة لأوامر القرآن، ونواهي القرآن، تجده مع إقامة الحروف مُعرضًا عن أوامر القرآن، متهاونًا بالصلاة، يغشىٰ الكبائر والمحرمات، أيكون بذلك من أهل القرآن والناصحين له؟ يجب أن يتذكر الناصح لنفسه في هذا الأمر، أن يتفكر فيه مليًا حتىٰ يكون من أهل القرآن حقًّا وصدقًا ومن العاملين به، أمَّا مجرَّد التجويد والترتيل وإقامة الحروف مع التعطيل لأوامر القرآن وعدم الامتثال لأوامر القرآن وعدم الانتهاء عن نواهي القرآن فليس هذا من النَّصيحة لكتاب الله تبارك وتعالىٰ.

والنصيحة لأئمة المسلمين وهو الأمر الرابع في هذا الحديث: وهم الأمراء وولاة أمر المسلمين، فيكون بامتثال ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تجاههم، والقيام بما دل عليه القرآن والسنة من حقوق نحو هؤلاء، والله عَزَّوَجَلَّ بيَّن في كتابه ما علىٰ الناس تجاه الأمراء وولاة الأمر، وبيَّن الرسول ﷺ ذلك في سنَّته، وأهل العلم أفردوا الأحاديث المتعلِّقة بهذا الباب في مؤلفات جامعة وفي كتبٍ خاصة ضمن كتب الحديث، ويكفي في هذا مطالعة ما جمعه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإمارة من «صحيحه». جمع الأحاديث الواردة في هذا الباب وما ينبغي أن يكون عليه الناس، أو ما يقوم به عامة الناس من حقوق تجاه الولاة والأمراء، ودين الإسلام بيَّن ذلك، ولا يكون الإنسان ناصحًا لولاة الأمر إلا إذا قام بما دل عليه الكتاب والسنة تجاههم؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام لا يأمران إلا بكل خير ولا ينهيان إلا عن كل شر، فالنصيحة للأمراء إنما تكون بذلك، والله جل وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء:٥٩]، أمر بطاعة ولاة الأمر، ولم يعطهم مطلق الطاعة كما في قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وإنما أعطاهم طاعة في حدود طاعة الله، ولهذا جاء الحديث مبينا قال عليه الصلاة والسلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما الطاعة في

المعروف» فإذا أمر ولي الأمر بمعصية وأمر بمنكر لا يطاع ولا يسمع، لكن يبقىٰ حقه الشرعي ماضيا قائما به عبد الله المؤمن، ولهذا جاءت السنة بضوابط مهمة لابد من مراعاتها مع ولاة الأمر، ولا تنتظم نصائح المسلمين إلا بها، قد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة جدًّا فيها النهي عن نزع اليد من الطاعة، وعن مفارقة الجماعة، قد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»، وقال عليه الصلاة والسلام: «اسمع وأطع ولو أخذ مالك، وضرب ظهرك» وجَّه عليه الصلاة والسلام وقال: «أدِّ الذي عليكم وسلُوا الله الذي لكم» وجه عليه الصلاة والسلام، ولهذا يجب علىٰ المؤمن أن ينظر إلىٰ حقوق ولاة الأمر التي أمر بها شرعًا ويأتي بها تديُّنًا وتقربًا إلىٰ الله لا تزلفًا للولاة وطلبًا للمصالح الدنيوية، وإنما تقرُّبًا إلىٰ الله ﷻ وطلبًا لثوابه بطاعة رسوله ﷺ.

للأسف أن بعض الناس إذا قُرئت عليه الأحاديث المتكاثرة التي فيها الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر إذا قُرئت عليه الأحاديث التي من هذا النوع أصيب بدنه بقشعريرة، وتوتر من ذكرها، ووَد أن لو كُتمت ولم تُذكر، وهذه مصيبة أليس الذي قال هذه الأحاديث هو الذي قال أحاديث الصلاة وأحاديث الصيام وأحاديث الأوامر والنواهي الذي أمر بهذا هو النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فلماذا يُصاب البعض بوحشة منها ونفورٍ من سماعها؟ علىٰ أي شي يدلُّ هذا؟ ألا يدل علىٰ خلل، ونقص في الإنسان.

ولهذا يجب علىٰ المؤمن أن يكون ناصحًا لولاة الأمر لا بالطريقة التي هو يرتضيها ويراها ويؤدي فهمه إليها، وإنَّما يكون ناصحًا لهم بالطَّريقة الشرعية التي دلَّ عليها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويكون قيامه بهذه الأمور طاعةً لله وتقرُّبًا إليه وطلبًا لثوابه سبحانه، لا تزلُّفًا وتملقًا وإرادةً للدنيا، وقد مرَّ معنا قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ» ويجب أن يكون المؤمن ناصحًا لولاة الأمر كما أُمر في كتاب الله وكما أُمر في سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

وحقيقةً في خضم الفتن وتكاثر الشرور وكثرة دعاة الفتنة يتأكد علىٰ الناس مراجعة الأحاديث التي تتعلَّق بحقوق الولاة حتىٰ يكون سيرهم في الباب علىٰ بصيرة، وعلىٰ معرفة بدين الله تبارك وتعالىٰ، وعلىٰ ما ينبغي عليهم شرعًا تجاه ولاة الأمر، وكثير من الناس بسبب قلة البصيرة وعدم الدراية بأحاديث الرسول ﷺ يقعون في هذا الباب بأنواع من الخلل والفساد ممَّا يترتب عليه أنواع من الشرور والأضرار التي تقع عليهم وعلىٰ الآخرين لجهلهم بسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وبما ينبغي عليهم من واجبات وحقوق تجاه ولاة الأمر، ولا يقول الإنسان: أنا لا أفعل إلا إذا فُعل معي كذا، وإنما الواجب أن يؤدي

العبد الذي عليه ويسأل الله الذي له، ولهذا انظر في الحديث قال: «اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك» ولا يكون قيام الإنسان بحقوق ولاة الأمر علىٰ وجه المقايضة والمقابلة، وإنما يكون قيامه بها علىٰ وجه التدين والطاعة لله عَزَّوَجَلَّ. فهذه النصيحة التي أمرنا بها، ولهذا علىٰ الإنسان في الفتن أن يتأمل في الأحاديث الواردة في هذا الباب، وأن يقرأ علىٰ أقل تقدير ما جمعه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإمارة من «صحيحه»، ويكون سيره في هذا الباب علىٰ هذا الأساس، وبسبب عدم البصيرة في هذا الأمر كما أشرت يقع الناس في أنواع من الخطأ، ومن ذلك سب الأمراء، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أمراءكم» ليس سب الأمراء من النصيحة أبدًا، إذا كان عند الأمير خلل، أو نقص، أو مخالفة فلا تسبه، وإنما ادعُ الله بصلاحه، وقد قال بعض السلف: "لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان" لماذا؟ لأن صلاحه له ولرعاياه، فيدعو له، وقد قال السلف قديمًا: "إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو علىٰ السلطان فاعلم أنه صاحب هوًىٰ وبدعة" لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهىٰ عن ذلك قال: «لا تسبوا أمراءكم» فالنصيحة للأمراء تكون: بالدعاء لهم بالخير، تدعو له بالتوفيق، تدعو له بالصلاح، إذا بلغك عن السلطان أنه فعل منكرا وفعل أمرًا فيه مخالفة شرعية ليس معنىٰ قولنا أن تدعو له أن تقول: جزاه الله خيرًا علىٰ هذه المخالفة، وبارك الله فيه عليها، لا ليس هذا هو وإنما تقول: هداه الله، أصلحه الله، وفقه الله، دلَّه الله للصواب، أرشده الله للخير، وقد أخبرني من سمع الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يطوف بالبيت يقول مشيت إلىٰ جنبه فسمعته يقول: "اللَّهُمَّ وفق ولاة أمرنا" ويكررها وهو يطوف بالبيت فهذه من النصيحة لولاة الأمر، وهذا دليل علىٰ أن القلب لا غل فيه، قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، ولزوم جماعة المسلمين، والنصيحة لمن ولاه الله أمرهم» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

الشاهد: أن هذا الباب باب مهم من أبواب العلم وباب عظيم من أبواب الخير، ينبغي أن يكون فيه العبد من الناصحين، ووالله لن تكون من الناصحين إلا إذا سرت في هذا الباب علىٰ ضوء السنة، ولتطَّرح الأهواء، وليطرح ما في النفس من ميولات، أو رغبات، أو تتبُّعٍ للحظوظ الخاصة حظوظ النفس كل ذلك ليطرح جانبًا ولتمضي السُّنّة وليبقىٰ العمل بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولن تكون من الناصحين كما أمرت لولاة الأمر إلا بذلك، النّصيحة لهم علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله العزيز وسنّة نبيِّه ﷺ، وأقول مرة ثالثة تفعل ذلك تدينًا وتقرُّبًا إلىٰ الله واتباعًا لرسول ﷺ، لا تزلُّفًا وتملقًا وطلبًا لشيء من مصالح الدنيا،

فإن هذا دين وقربه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا معناه: "ينبغي أن تتخذ الإمارة دينًا يتقرَّب بها إلىٰ الله جل وعلا، وأن يكون سمع الإنسان وطاعته للأمراء، وقيامه بحقوق الأمراء أمرٌ يفعله تدينًا وتقربًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وطاعةً واتباعًا للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولا يكون سبيل الإنسان في هذا الباب سبيل أهل الجاهلية"، بعض الناس لديه في هذا الباب نعرة جاهلية شبيهة بمقالات الجاهليين أفعل هذا وأنا أبو فلان، نعرة جاهلية يضع السنة جانبًا وينطلق انطلاقة ليست قائمة علىٰ دليل ولا علىٰ اتباع سبيل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فهذه النَّصيحة لولاة الأمر علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله وسنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام.

وألخِّص لكم ما سبق في كلمة واحدة من النصيحة لولاة الأمر: أن تقرأ كتاب الإمارة من «صحيح مسلم»، وتنظر في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، وتعمل بها منشرحًا صدرك مطمئنًّا قلبك، ترجو بذلك ثواب الله والدار الآخرة، ولا تريد شيئًا من مطامع الدنيا وحظوظها، هذا ملخص ما يتعلق بالنصيحة لولاة الأمر.

أما النصيحة لعامة المسلمين: فهذه باب عظيم مبارك ينبغي علىٰ المؤمن أن يحسن العناية به فهمًا وتطبيقًا.

وأولها يكون في هذا الباب: معرفة حقوق عامة المسلمين، كلٌّ حسب حاله، وكل تعرف حقوقه اللائقة به، فللوالدين حقوق، وللجيران حقوق، وللأصدقاء حقوق، وللعلماء حقوق، وللأبناء حقوق، وكلٌّ له حقوقه، وقد جاءت مبينة مفصَّلة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد جمعها أهل العلم في الكتب الخاصة بالآداب ومن أحسنها وأوعظها وأجملها كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فهذا كتاب عظيم في هذا الباب، ولهذا إذا أراد المسلم أن يقوم بحقوق عامة المسلمين فعليه أولًا أن يعرف ما هي حقوقهم علىٰ ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وأول ما ينبغي أن يقدم من حقوق لعامة المسلمين: للوالدين، ولهذا أحسن البخاري صنعًا رَحِمَهُ اللَّهُ بأن بدأ كتابه «الأدب المفرد» بباب برّ الوالدين، لأنهم أحق الناس بالقيام بهذه الحقوق وصدَّره بالحديث: أي الناس أحق بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»، وبعض الناس قد يحسن القيام ببعض الحقوق مع الآخرين ولكنها تكون معطلة مع الوالدين، ولهذا أهم ما يكون في النصيحة لعامة المسلمين معرفة حقوقهم أولًا علىٰ ضوء كتاب الله وسنة

نبيه ﷺ، ثم يقوم بحقِّ كلٍّ علىٰ ضوء ما يليق به مما دل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكما أشرت ينفعك كثيرًا في هذا الباب قراءة كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كاملًا، تنظر في الآداب التي وردت فيه والتي جمعها وتجتهد في تطبيقها والقيام بها لتكون لعباد الله من الناصحين.

وأما إن سألت عن الأساس الذي تبنىٰ عليه النصيحة لهؤلاء عمومًا فإنك تجدها في قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» فهذا الحديث جامع في هذا الباب، ومن قام بهذا الحديث قيامًا صحيحًا، وحقق ما يدل عليه الحديث فإنه أتىٰ بالنصيحة بأوسع أبوابها وأتم مجالاتها، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك أي من الخير، وتكون معاملتك لإخوانك مبينة علىٰ هذا الأساس، ويكمل المعنىٰ الوارد في هذا الحديث ما ثبت في هذا الحديث الآخر أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن يزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلىٰ الناس الذي يحب أن يؤتىٰ إليه» فهذا حديث مكمل للحديث السابق، الحديث السابق فيما يتعلق بباطن الإنسان وقلبه، وهذا الحديث فيما يتعلق بعمل الإنسان أن يأتي إلىٰ الناس الشيء الذي يحب أن يؤتي إليه، فالنصيحة للناس تكون بالعمل بهذا، تحب لهم ما تحب لنفسك، وتعاملهم بالمعاملة التي تحب أن تُعامل بها، ولهذا إذا سألت ما النصيحة للأم وهي أحق الناس بحسن النصيحة، ما النصيحة لها؟ أن تحب لها ما تحب لنفسك، وأن تأتي إليها الشيء الذي تحب أن يؤتىٰ إليك، وبعبارة أوضح وأصلح وأبين، النصيحة للأم، تمام النصيحة للأم وكمالها: أن تتصور نفسك لو أنك أنت الأم ما الذي تريده لابنك أن يعاملك به؟ فما تحبه لنفسك لو كنت أمًا يفعله معها، هذا هو النصيحة، وهكذا قلت في الأب، والأخ، والابن، والجار، ومع كل أحد هذه الطريقة التي تم بها تطبيق قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقوله: «وأن تأتي للناس الشيء الذي تحب أن يؤتىٰ إليك» ومن النصيحة لهم: البعد عن الغش والكذب والغدر والخديعة والغيبة والنميمة والتجسس وغير ذلك مما نهىٰ عنه الإسلام، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوىٰ هاهنا ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه» فمن النَّصيحة لعباد الله المؤمنين قراءة هذه الأحاديث، وفهمُها، وتطبيقها، وقراءة نظائرها من الأحاديث الواردة في سنة نبي الله ﷺ المبيِّنة لحقوق عباد الله، فهذه النَّصيحة لعامة المسلمين باختصار.

والحديث عمومًا اشتمل علىٰ النصيحة وبينها بأتم ما يكون وأحسن ما يكون من البيان، النصيحة لله بالقيام بحقوقه سبحانه، والنصيحة للقرآن بالقيام بحقوق القرآن، والنصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام بالقيام بحقوقه عليه الصلاة والسلام، والنصيحة لولاة الأمر بالقيام بحقوقهم، والنصيحة لعامة المسلمين بالقيام بحقوقهم، وكل ذلك يقوم به العبد يطلب به ثواب الله ﷻ حتىٰ فيما يتعلق بمعاملة الناس والنصيحة لهم إنما يُفعل ذلك تدينًا ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[الإنسان] فهذه كلها تفعل طلبًا لثواب الله، وطلبًا لما أعده ﷻ للمطيعين لأوامره المتبعين لرسوله ﷺ.

ونسأل الله جل وعلا أن يجعلنا أجمعين من الناصحين له، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وألا يجعل في قلوبنا غلًّا لشيء مما أمرنا به ﷻ.

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتىٰ أعرابي النبي ﷺ فقال: دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئًا ولا أنقص منه، فلما ولىٰ قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا**» متفق عليه.

هذا الحديث الرابع من الأحاديث التي جمعها المصنف رحمه الله، وهو ذكر قصة الأعرابي الذي أتىٰ النبي ﷺ وسأله هذه المسألة (دلني علىٰ عملٍ إذا عملته دخلت الجنة)، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُسَرون غاية السرور ويفرحون غاية الفرح إذا جاء أحدٌ من الأعراب يسأل النبي ﷺ، وكانوا يتهيَّبون فإذا جاء من يسأله فرحوا بذلك، فرحًا بما يأتي من فوائد عظيمة، وبيان من النبي الكريم ﷺ في جوابات أسئلة السائلين، والأسئلة التي كانت تُطرح عليه الصلاة والسلام كثيرة ومتعدِّدة منها ما هو في العقيدة، ومنها ما هو في العبادة، ومنها ما هو في الآداب، وهي فتاوىٰ طُرحت علىٰ النبي ﷺ، وقد جمع ابن القيم رحمه الله في كتابه «إعلام الموقعين» جملة كبيرة منها باسم فتاوىٰ النبي ﷺ، وقد طبعت مفردة بهذا العنوان «فتاوىٰ النبي ﷺ» وهي كلها من هذا القبيل، الأحاديث التي فيها سؤالات وجهت إلىٰ النبي ﷺ وأجاب عنها.

وقد قام أحد الأفاضل من أبناء الشارقة بجمع رسالة علمية عن فتاوىٰ النبي ﷺ في العقيدة جمعًا ودراسة، وكتب في هذا الموضوع مجلدين، جمع فيها الأحاديث جمعًا جيدًا، وخرجها تخريجًا جيدًا

وعلق عليها تعليقًا نافعًا، ونسأل الله جل وعلا أن ييسر طبعها ونشرها؛ بل إنني أتمنىٰ أن يقوم بذلك إدارة الأوقاف في الشارقة، لأن الكاتب من أبناء الشارقة، ومن التشجيع لطلاب العلم في هذا البلد نشر الجهود المؤصَّلة الجيدة في هذا الباب، ونسأل الله جل وعلا أن ييسر نشر هذا الكتاب والإفادة منه.

قوله: (دلني علىٰ عمل) هذا استفتاء طرح علىٰ النبي ﷺ من هذا الأعرابي قال: (دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة) ولك أيها الموفق أن تتأمل في استفتاءات هؤلاء الأخيار، وإذا أحسنت التأمل في هذه الاستفتاءات وجدت أنها قائمة علىٰ النَّصيحة للنفس بخلاف كثير من الاستفتاءات التي تُطرح لا لشيء إلا للتشغيب وإثارة البلبلة ونشر الشكوك بين الناس، ولا يقصد بها نفعهم، ولا يقصد أيضًا بها نفع النفس، وأمثال هذه السؤالات لا خير فيها، وإنما الخير كل الخير في مثل هذه الأسئلة المباركة التي تدل علىٰ رغبة في العمل ونصيحة للنفس وإرادة للخير (دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة) هذا مراده بالسؤال، انظر نقيض هذا في قوله لوفد عبد القيس عندما أتوا النبي ﷺ قالوا: (يا رسول الله، أتيناك في هذا الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بقول فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) هذا مرادهم بالسؤال (نُخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) ومثله أيضًا حديث سفيان بن عبد الله الثقفي الآتي (قل لي في الإسلام قولًا لا أسئل عنه أحدًا غيرك) فكانت لهم همة عالية في سؤالاتهم تدل علىٰ خير ورغبة في الخير والصلاح.

وهكذا ينبغي أن تكون السؤالات، أن تطرح السؤال إما لنفع نفسك لجهلك بحكم ما تسأل عنه، أو لنفع غيرك لتعليمهم ما يجهلون، وهذا أيضًا سؤال نافع. إذا أدركت خطأ كثير ممن معك في مسألة معينة فطرحت سؤالًا علىٰ عالم ما حكم كذا؟ وأنت تعرف الجواب لكنك تريد بهذا السؤال أن تنفع الحاضرين وأن تعرِّفهم بالحكم فهذا سؤال فيه خير، ولهذا ينبغي مراعاة النية الصالحة بطرح السؤال حتىٰ تُثاب علىٰ سؤالك، وحتىٰ يكون سؤالك في ميزان حسناتك يوم تلقىٰ الله، لأنك تطرح السؤال لمقصد شرعي وغاية نبيلة فتستفيد من السؤال، وإذا كان السؤال علىٰ خلاف ذلك فعدم طرحه خير من طرحه.

قال: (دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة) ولا حظ هنا الرجل متهيئ للعمل وراغب في دخول الجنة لكن يريد ماذا؟ أن يبين له الطريق وأن يبيَّن له العمل الذي يقوم به، لأن يكون من الدَّاخلين، ولعلك هنا تستفيد فائدة عظيمة ألا وهي أن استحضار الجنة ونعيمها، وثوابها، وما أعده الله تبارك وتعالىٰ لأهلها، سائق وقائد للخير. فإذا كانت الدار الآخرة وما فيها من الثواب وأيضًا ما فيها من العقاب نصب عينيك

فإن هذا يسوقك للخير لتحصِّل الثواب، وتسلم من العقاب قال الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾[الإسراء] قال: (دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا») أول ما أمره أمره بالتوحيد والإخلاص «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» فأول ما أمره به أمره بالإخلاص.

وهذا فيه فائدة مهمة أن التوحيد هو أول ما يُبدأ به، وهو أساس الأعمال الذي عليه تبني ولا قبول لأي عملٍ من الأعمال إلا إذا أقيم علىٰ التوحيد الخالص، ولهذا فإنه أوَّل ما يُبدأ به، قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل لما بعثه إلىٰ اليمن: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افتراض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» الصلوات الخمس تكون متىٰ؟ بعد التوحيد، وأول ما يُبدأ به هو التوحيد، توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإخلاص الدين له. فبدأ بذلك قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» وفي الحديث فائدة نفيسة جدًّا تشترىٰ بغالي الأثمان من أنفس ما يكون، قال عليه الصلاة والسلام: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» وفي أحاديث أخرىٰ ماذا قال؟ مثل حديث وفد عبد القيس لما قالوا له: (مُرنا بقولٍ فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، قال: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: وما الإيمان بالله وحده؟ قال: «شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم» إذا ضممت الحديثين ما النتيجة التي تظهر لك؟ إذا ضممت قوله في أول حديث وفد عبد القيس «شهادة ألا إله إلا الله » وقوله لهذا الأعرابي: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا » ما الفائدة التي تظهر لك؟ معنىٰ (لا إله إلا الله) الذي جهله كثير من الناس ممن ينطقون بها ويتلفَّظون بها؟ ولهذا بعض الناس إذا سُئل عن معنىٰ (لا إله إلا الله) فسرها بتوحيد الربوبية، يقول: أي لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، أو نحو ذلك من التعريفات التي تدلُّ علىٰ عدم علم وبصيرة بمعنىٰ لا إله إلا الله، وهذا الحديث مبيِّن وشارح، ولهذا إذا قيل لأحدنا: ما معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله؟ فقال في الجواب: معناها تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، ما رأيكم بالجواب؟ جواب وافٍ، لأن النبي ﷺ مرة ذكر التوحيد بلفظ الشهادة شهادة ألا إله إلا الله، ومرة ذكر التوحيد بمعنىٰ «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا»، قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» عرفنا أن هذه فائدة نفيسة جدًّا نأخذها من هذا الحديث في تفسير وبيان معنىٰ كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

و(لا إله إلا الله) تقوم علىٰ ركنين هما النفي، والإثبات. النفي في أولها والإثبات في آخرها، (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات، والنفي الذي في أولها هو للعبودية عن كل من سوىٰ الله، (لا إله) فهذا نفي للعبودية عن كل من سوىٰ الله، و(إلا الله) إثبات للعبودية لله وحده.

فقولك: (لا إله إلا الله) معناها: لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو الذي قاله ﷺ في هذا الحديث «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» فقوله «تعبد الله» هذا ما دل عليه قوله: (إلا الله)، وقوله: «لا تشرك به شيئًا» هذا ما دل عليه قوله: (لا إله)، فإذًا «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا» هو معنىٰ لا إله إلا الله، ولهذا قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾[النساء:٣٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥] وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾[الأنعام:١٥١] وما كان في معنىٰ هذه الآيات كله تفسير لـ(لا إله إلا الله) وبيان لمعناها أيضا قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف] كل هذا بيان لمعنىٰ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهذا هو أساس الدِّين الذي لا قيام للدين إلا عليه.

ثم ذكر بعد التوحيد إقام الصلاة، قال: «تقيم الصلاة المكتوبة» ولم يقل: تصلي، وإنما قال: «تقيم الصلاة» كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في أكثر من آية وإقامة الصلاة إنما يكون بالمحافظة علىٰ وقتها وشروطها وأركانها وواجباتها كما أمر الله وكما أمر رسوله ﷺ.

وقوله «المكتوبة» أي: التي كتبها الله عليك شرعًا، والكتابة هنا كتابة شرعية، لأن الكتابة نوعان:

- كتابة شرعية.
- وكتابة كونية قدرية.

والكتابة هنا: الكتابة شرعية، وهي نظير قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣]؛ أي: شرعه، كتبه عليكم شرعًا، والصلوات المكتوبة أي: كتبها الله ﷻ علىٰ عباده شرعًا وألزمهم بها وافترضها عليهم، قال: «تقيم الصلوات المكتوبة» والصلوات المكتوبة هي خمس صلوات في اليوم والليلة، ركعتان في الفجر، وأربع الظهر، وأربع في العصر، وثلاث في المغرب، وأربع في العشاء، هذه هي الصلوات المكتوبة، قال: «تقيم الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» أي التي فرض الله عليك، وهي نصيب من المال يؤخذ من الأغنياء ويُردُّ علىٰ الفقراء كما جاء في حديث معاذ «ثم أخبرهم بأن الله ﷻ افترض عليهم

زكاة تُؤخذ من أغنيائهم وتردُّ علىٰ فقرائهم» فهي نصيب من المال يؤخذ من الأغنياء ويُردّ علىٰ الفقراء، وهو زكاة للمال، ونماء له، وبركة فيه و«ما نقصت صدقة من مال» كما قال رسول الله ﷺ.

ال: «وتصوم رمضان» وصيام رمضان هو شهر في السنة، يصومه العبد إيمانًا واحتسابًا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» لما سمع هذا الأعرابي هذه التوجيهات المباركة من النبي عليه الصلاة والسلام قال: «والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئًا ولا أنقص منه» أي: أنه سيحافظ علىٰ هذه الفرائض التي أمره الله ﷻ بها، وبينها له رسول الله ﷺ. فذكر أنه لا يزيد عليها؛ أي: النوافل والمستحبات، وإنما سيقتصر علىٰ فعل الفرائض. ومن كان مقتصرًا علىٰ فعل الفرائض تاركًا للمحرمات فإنه من المقتصدين؛ لأن أقسام عباد الله المؤمنين ثلاثة جاء بيانها في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [فاطر] فذكر المقتصد.

والمقتصد هو: الذي يفعل الواجب ويترك المحرم.

وهذا الأعرابي التزم ذلك أن يكون مقتصدًا يعني فاعلًا للواجبات، تاركًا للأمور التي حرمها الله تبارك وتعالىٰ عليه مثل القتل والزنىٰ والسرقة ونحو ذلك من المحرمات، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئًا ولا أنقص منه) أي: فعل الفرائض وعموم الحديث يدل علىٰ الأمرين معًا فعل الواجب، وترك المحرَّم، لأن هذا كلُّه فرض لازم في حق كل معيَّن كما أنه يجب علىٰ كل معين فعل الصلاة يجب علىٰ كلِّ معين ترك المحرمات كالقتل والزنىٰ ونحو ذلك مما حرم الله تبارك وتعالىٰ، قال: (والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ ذلك ولا أنقص، قال عليه الصلاة والسلام: «من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا») وفي نظير هذا الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «أفلح إن صدق» وفي لفظ قال: «لئن صدق ليدخلن الجنة» فهذا سبيل المقتصدين، المقتصد: هو الذي يفعل الواجب، ويترك المحرم، وهذا يدخل الجنة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإيمان» أن المقتصد، والسابق بالخيرات كلاهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عقاب لكن درجاتهما في الجنة متفاوتة؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ [الأحقاف:١٩] قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن]، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾[الرحمن] وأما الظالم لنفسه فإنه عرضة للعقوبة، من ظلم نفسه بالمعاصي التي دون الشرك فإنه

عرضة للعقوبة وإذا عاقبه الله عَزَّوَجَلَّ وأدخله النار لظلمه لنفسه فإنه لا يخلد فيها، لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨].

هذا ما يمكن بيانه في هذا المقام وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.